الاجتهادات الفقهية والقضايا المعاصرة

ودور مشايخ الأزهر في تبني ثورات الشعب ضد الاحتلال الأجنبي

قديما وحديثا

إعداد الدكتور

سيف راشد الجابري

أستاذ الثقافة الإسلامية والمجتمع بالجامعة الكندية، دبي

رئيس اتحاد الأكاديميين والعلماء العرب

الاجتهادات الفقهية والقضايا المعاصرة ودور مشايخ الأزهر في تبني ثورات الشعب ضد الاحتلال الأجنبي قديما وحديثا

سيف راشد مطر الجابري

قسم لدراسات الإسلامية- كلية الآداب- جامعة الإمارات.

البريد الإلكتروني: dr.e.aljaberi@hotmail.com

الملخص:

الأزهر مؤسسة دينيه وطنيه في المقام الأول ويشهد تاريخه التليد بذلك ليس من اليوم ومقاومته لمحاولات هدم الدين بل من قدم التاريخ ودوره بارز على مدار تاريخه في التصدي لكافة هذه المحاولات وتفريغ الدين الإسلامي من جوهره الوطني تحت دعاوي تحديد التراث ومفهوم المعاصرة والمقصود به تدمير الدين.

هذه المنارة العلمية العالمية تتعرض للتطاول باعتبارها منارة الإسلام وطريق المسلمين إلى الإسلام الوسطي ومع هذا لاتزال تتصدى لكافة محاولات النيل من الإسلام والمسلمين وصامدة وقوية بل ولديها من الرجال من قيضهم الله لحماية دينه وحماية مقدسات الله عز وجل وأيضا لهم دور كبير في المشاركة في الحياة العامة، والزود عن الإسلام والمسلمين

الكلمات المفتاحية: الأزهر- جامعة الأزهر- التنوير -التراث والمعاصرة -نضال- علماء - الاحتلال الأجنبي.

Jurisprudential Efforts, Contemporary Issues and the Role of the Grand Imams of Al- Azhar in adopting People's Revolutions against foreign Occupation, Past and Present

By: Saif Rashid Matar Al-Jaberi

Department of Islamic Studies

Faculty of Arts

United Arab Emirates University

Email: dr.e.aljaberi@hotmail.com

Abstract:

Al-Azhar Al- Sharif is primarily a national religious institution, and its long history bears witness to that, not only from today. Evidently, its resistance to the attempts targeting to destroy religion extends from ancient times. The role of Al- Azhar Al- Sharif is prominent throughout its history in confronting all those attempts to empty the Islamic religion of its national essence under the pretext of defining the heritage and the concept of modernity, which intend to destroy religion. This global beacon of science is being attacked as a symbol of Islam and an outstanding path to guide Muslims to moderate Islam. However, Al- Azhar Al- Sharif continues to confront all attempts to undermine Islam and Muslims. It is still steadfast and strong, and even has men whom Allah Has provided to protect His religion and the sanctities His Almighty. Those men also have a major role in public life defending Islam and Muslims.

Key words: Al-Azhar, Azhar University, enlightenment, heritage and modernity – struggle, scholars, foreign occupation

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الأزهر أقدم جامعة عالمية متكاملة، ومن أهم المساجد الجامعة في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي، احتضنت أروقته الملايين من طلاب العلم ومعلميه، حتى غدا قِبلة العلم لكل المسلمين، ومنهل الوسطية، ومنارة الإسلام الشامخة، وقد تجاوز عمره الألف سنة، متحملًا مسؤوليته العلمية والدينية والوطنية والحضارية تجاه الشعب والأمة الإسلامية كلها، فكان لها رمزًا حضاريًا، ومرجعًا علميًا رئيسًا، ومنبرًا دعويًا صادقًا.

أهمية البحث:

- إلقاء الضوء على جهود الأزهر في هذا المجال دور مهم للغاية، حماية للدين وللقيم الإنسانية الراقية التي يمثلها الأزهر. لأنه كان الملاذ الآمن للمجتمع المصري والعربي.
- دور الأزهر في دحضد الاتهامات الموجهة للإسلام والتأكيد على أن الإسلام برئ من التهم.
- التأكيد على أن الدور الذي يقوم به الأزهر دور كبير توعوي وديني وسطي يؤكد على سماحه الإسلام ومعاصرته لكافة مظاهر التطور في الكون في عصر التكنولوجيا والمعلوماتية.

مشكله البحث:

حدد الكاتب مشكلة البحث في الرد وإثبات الصورة الإيجابية عكسًا لـــ كثرة المصادر التي تتحدث كثيرا عن المؤسسات الدينية وربط الإسلام بفكرة التطرف والإرهاب وتحاول إلصاق تهم التخلف والرجعية للمؤسسة الدينية العتيدة (جامعة الأزهر والأزهر الشريف) وتحاول ربطها بالتقليدية وبعدها عن المعاصرة والقيم الحديثة في مفاهيم العقيدة والفكر، وكذلك الفرق المتعددة التي تدعي كل منها بأنها الأحق في الدفاع عن الدين.

أهداف البحث:

- التركيز على الأزهر كخط الدفاع الرئيسي للذود عن القيم الإسلامية الوسطية التي ترفض العنف وتنبذه وتدعو إلى قيم التسامح الإسلامي دون إفراط أو تفريط في أوامر الله ونواهيه والتمسك بالثوابت الإسلامية وكذلك الدفاع عن المقومات الإسلامية وثوابته الخمسة.
- دور الأزهر في مشاركة المسلمين في البحث عن حلول حديثه لمشاكلهم وكذلك علاقة الحاكم بالمحكوم ودفع لذلك علماؤه الكثير والكثير في سبيل تأدية دورهم الديني والوطني في الوقت نفسه.
- التعريف بدور علماء الأزهر النضالي على مر التاريخ في مواجهة الاستعمار ولم الشمل ووحدة الصف والهوية والدفاع عن الأمة.

حدود البحث:

حدود البحث تاريخ ووقائع تصدي الأزهر لحماية الدين الإسلامي وتنوير المسلمين بالدين الوسطي الصحيح للإسلام ودور التنظيمات المعادية للإسلام في التطاول على منهج الله تحت دعاوى التجديد والبعد عن التراث بل وتفنيدها والتأكيد على زيف ادعاءاتها وأن الأزهر نفسه هو حامل لواء التجديد في الفكر الإسلامي وإلقاء نظرة متأنية عن جهود علماء الأزهر في التأكيد على عالميه الفكر الإسلامي ودوره في تطوير الفكر الإنساني قديما وحديثا.

منهج البحث:

تناول البحث المنهج التاريخ الوصفي ورصد جهود علماء الأزهر على مدار التاريخ.

- دور العلماء حديثا في التصدي لتشويه التراث الإسلامي والدعوة الزائفة لضرب التراث في مقتل من خلال دعاوى المعاصرة والتجديد.
- الدفاع الرائع الذي قام به علماء الأزهر في الذود عن التراث الإسلامي ودعاوى التجديد والتأكيد على أن مفهوم تجديد التراث هي مقولة تراثيه صدرت من الأزهر نفسه وليس من قبل بعض

المدعين.

- محاربة الظواهر الفاسدة التي حرمها الإسلام وعلاوة على ذلك في تأكيد على المحرمات التي أمر بها الله عز وجل.

خلاصة البحث:

هناك جهد عظيم يقدمه الأزهر الشريف بعلمائه ومشايخه وولاة أمره ومرجعيته في تحليل المستجدات الفقهية وقضايا الأمة الدينية والعربية ومساندة مطالب الجماهير ضد الحكام والولاة، وحماية الدين من حملات الزيف والنشوية التي تقوم بها المنظمات والجهات المعادية للإسلام والمسلمين. وله دور مشهود على مدار التاريخ بالإضافة لدوره الديني في تبني طموحات المسلمين لحياة كريمة، وهو المصدر الرئيسي في توضيح وتبينه الأحكام الشرعية، والإجابات الشافية، والفتاوى المناسبة لها.

محاور البحث:

- المحور الأول نظرة تاريخية عن الأزهر الشريف.
- المحور الثاني نماذج من القضايا الفقهية التي أفتى فيها الأزهر بفتوى الفصل.
- المحور الثالث نماذج من الفتاوى المعاصرة لعلماء الأزهر، وأثرها الاجتماعي.
- المحور الرابع تأثير الأزهر الشريف في الأقطار العربية والإسلامية.
- المحور الخامس مرجعية الأزهر الفقهية على مر العصور.

المحور الأول: نظرة تاريخية عن الأزهر الشريف.

عندما بدأ الإسلام في الانتشار بالفتح الإسلامي كانت من عادة الفاتحين غالبًا وبتوجيهات من الخليفة عمر بن الخطاب بناء المدائن، وأول ما يُبْتَدَأُ أو يبتدئ به فيها المسجد وذلك اقتداء بفعل النبي ﷺ، فعندما دخل المدينة كان من أول أفعاله ﷺ بناء المسجد النبوي.

وكان من أوائل المساجد التي بنيت في المدائن المفتوحة جامع البصرة ١٤ هـ، وجامع الكوفة ١٦ هـ، في العراق، وفي ٢١ هجرية بعد فتح مصر بُني مسجد عمرو بن العاص الصحابي الجليل رضي الله عنه، ثم جامع العسكر الذي بناه العباسيون شمال الفسطاط سنة ١٣٣، وجامع ابن طولون في مصر، وبني جامع الزيتونة بتونس سنة ١١٤ هـ، وجامع القرويين في فاس بالمملكة المغربية سنة ٢٤٥ هـ، وبني في مصر مع مدينة المنصورية، وبني معها الجامع القاهرة سنة ٢٤٥ هـ، وعندما قدم المعز لدين الله لمصر سنة ٣٦٢هـ سماه بالجامع الأزهر وسمى المنصورية بالقاهرة(١)

واستمرت هذه المساجد تنشر العلم ويتخرَّج منها فحول العلماء وأفاضل الدعاة من التابعين وأتباعهم من أهل القرون الخيرية الأولى، ومن هذه المساجد ما هو قائم إلى الآن(٢)

وقد عرفت مصر قبل قيام مدينة القاهرة المعزية ثلاث عواصم إسلامية، هي:

١- مدينة فسطاط مصر التي أنشأها الصحابي الجليل عمرو بن العاص في عام ٢١هـ/ ٦٤١م بعد أن قام بفتح مصر سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب.

٢- مدينة العسكر التي أنشأها في عصر الدولة العباسية لتصبح عاصمة لمصر الإسلامية لمدة ١١٨ عامًا، أي ٨٦٨م، وقد بناها القائد صالح بن على ليقيم فيها جيشه، عقب انتزاعهم مصر من يد

---

(١) انظر: المقريزي الخطط: ٤/ ٤. السيوطي، حسن المحاضرة: ٢/ ١٤٩.

(٢) انظر: محمد كمال السيد، الأزهر جامعًا وجامعة ص ٧- ١٠، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الأمويين في سنة "١٢٣هـ٧٥٠م".

٣- مدينة القطائع التي أنشأها أحمد بن طولون، في سنة "٢٥٦٨٧٠م" لتكون عاصمةً للدولة الجديدة، وعرفت مصر قبل قيام الجامع الأزهر ثلاث مساجد جوامع، كانت مركزًا للحياة الإسلامية هي: المسجد الجامع، أو جامع عمرو "وقد عرف جامع عمرو بعدة أسماء أخر، منها الجامع العتيق، وجامع مصر، ومسجد أهل الراية"، وجامع العسكر، وجامع ابن طولون.

لقد كان الخلفاء الفاطميون منذ استقرار ملكهم بالمغرب يستشرفون لفتح مصر، وذلك لثرواتها ومواردها، وموقعها، فكانت الحلم الذهبيَّ لملوك الفاطميين، ومن ثَمَّ أوفدوا حملاتٍ، وجهزوا جيوشًا لغزوها، ولكنها باءت بالفشل، ولم يدن ذلك الأمل العذب إلّا بيد "المعز" وقيادة جوهر القائد العظيم.

وبعد أن تم للفاطميين الفتح، أرادوا أن يؤسسوا مدينة جديدةً تخلِّدُ ذكرهم، وتكون لهم معقلًا وحصنًا يأوون إليه، ويتخذون منه مستقرًّا ومقامًا، فبنى تلك المدينة الجديدة وسماها "المنصورية" وذلك في غضون عام ٣٥٨هـ، فلما انتقل "المعز لدين الله الفاطمي، من "القيروان" إلى "مصر" للإقامة بها سنة ٣٦٢هـ، غيَّر اسم المدينة، وسمَّاها القاهرة المعزية نسبةً إليه(١).

ثم أنشأ "جوهر الصقلي" الجامع الأزهر في طليعة ما أنشأ؛ كي يكون مرجعًا لهذه الدولة، وليكون سياجًا للشيعة التي يعملون على تأييدها، وكان البدء في إنشاء الجامع الأزهر في يوم السبت لستٍ بَقَيْنَ من جمادى الأولى، سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمُلَ بناؤه لتسعٍ خلون من شهر رمضان، سنة إحدى وستين وثلاثمائة(٢).

ولا ينبغي لنا أن نتجاوز هذا الجامع العتيق دون أن نلقي الضوء على بانيه القائد جوهر الصقلي

---

(١) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي ص: ٢٦.

(٢) الخطط للمقريزي ٢/ ٢٧٣.

بكلمة موجزة فقد كان يتمتع بخلال باهرة من الذكاء والشجاعة والعزم وبُعد النظر وإيثار العدل وحب الخير[١].

وأول من أقام الدروس الفقهية في الجامع الأزهر هو قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني في قراءة كتاب (الاقتصار) في فقه الشيعة، وكتاب (دعائم الإسلام) و(اختلاف أصول المذاهب) وكتاب (اختلاف الفقهاء)[٢].

ومن درَّس في العصر الفاطمي أبو عبد الله القضاعي الفقيه الشافعي، والشاطبي إمام القراءات صاحب كتاب حرز الأماني ووجه التهاني، ثم توالت حلقات بنو النعمان بالأزهر حيث كانوا من أكابر علماء المغرب واصطفتهم الخلافة الفاطمية ليكونوا دعاتها المقربين[٣].

وفي أوائل عهد العزيز بالله جلس أبو الفرج يعقوب بن كِلِّس الوزير وقرأ "الرسالة الوزيرية" وهي كتاب في الفقه الشيعي وكان يفتى الناس يومئذ بما فيه[٤]، وقد عيَّن ابن كِلِّس جماعة من الفقهاء عددهم سبعة وثلاثين فقيهًا، وبهذا يكون أوَّلَ من أسس جامعة علمية فقهية في الأزهر الشريف[٥]، وإلى جانب علوم الشيعة فقد كان الفقه المذهبي يدرس جنبًا إلى جنب مع الفقه الشيعي فقه الدولة الفاطمية[٦]، وكان يحكم فيها بمذاهب أهل السنة والشيعة كل على مذهبه ولا

(١) عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ص٣٩، انظر وفيات الأعيان ابن خلكان ١/ ١٤٧، والنجوز الزاهرة ٤/ ٣٣.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان ٢/ ٣١٩.

(٣) عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ص٤١.

(٤) عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ٤٨.

(٥) ابن الصيرفي المصري، الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٣.

(٦) عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ٧٧.

إكراه على دين الدولة[١].

العهد الأيوبي:

في عهد الدولة الأيوبية كان الأزهر جامعة تدرس فيها العلوم العقلية والمدنية إلى جانب العلوم الدينية، وممن كان يدرس في تلك الفترة عبد اللطيف البغدادي كان يدرس الطب والفلسفة والمنطق[٢]

وكان من علماء الأزهر في عهد الدولة الأيوبية الشيخ يوسف البغدادي وكان يدرس فيها كما حدث عن نفسه فقال (كانت سيرتي في هذه المدة أن أقرئ الناس بالجامع الأزهر في أول النهار إلى الساعة الرابعة، ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره)[٣]، والعالم البغدادي الكبير الحسن بن الهيثم كان يقيم في الأزهر، وهو معروف بغزارة علمه ونظرياته في الطب والطبيعيات.

والمؤرخ الكبير محمد بن سلامة القضاعي كان من علماء الأزهر وأحد مدرسيه في العهد الفاطمي وكان شافعي المذهب[٤].

عهد المماليك:

ولم يقف إنشاء المدارس في عهد السلاطين المماليك فقد ذكر المقريزي ٤٣ مدرسة أنشئت في عهدهم، بخلاف الجوامع والمساجد والخوانك (الخلوات) والأربطة والمستشفيات وهي بالإضافة إلى دورها في التشخيص والعلاج وصرف الأدوية كانت بمثابة كليات لدراسة الطب وصناعة الأدوية ومن أبرزها مارستان المنصوري قلاوون، وكانت تدرس في هذه المدارس كافة

---

(١) ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٥.

(٢) عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ٧٩.

(٣) الأزهر جامع وجامعة ٣٧، انظر مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية لمحمد عبد الله عنان ص: ٩٧ نقلًا عن أبي أصيعة.

(٤) انظر: محمد كمال السيد، الأزهر جامعًا وجامعة ص ٣٤.

العلوم الشرعية واللسانية والطبيعية من رياضيات وحساب وجبر وهندسة وفلك وعلوم طبيعية وكيمياء وتاريخ وغيرها من العلوم.

الأزهر في عهد الدولة العثمانية:

لن نعرج كثيرا على الحياة السياسية في عهد الدولة العثمانية والذي يهمنا هنا هو دور الأزهر في الحياة العامة في عهد العثمانيين، فقد كان للأزهر مكانته وأثره في الرأي العام وكان أغلب أمراء المماليك يهابون علماءه، ويقدرونهم حيث كانوا يعبرون عن رأي الشعب، وكان شيوخ وعلماء الأزهر بكافة ألقابهم من نقيب الأشراف ورئيس السجادة البكرية ومشايخ الصوفية وغيرهم كانوا صمام أمان للدين الإسلامي بكافة مذاهبه واختلاف طوائفه.

المحور الثاني: نماذج من القضايا الفقهية التي أفتى فيها الأزهر بفتوى الفصل.

في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي قاد الأزهر ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية ومن أعلم معالم الحركة الوطنية:

- الثورة الأولى كانت بقيادة الإمام أحمد الدردير.
- الثانية بقيادة شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي (الأزهر في ألف عام (١٤٢٧) | مجلد ٢ | صفحة ٢٦٧ | [الجزء الثاني|.

أما الثورة الأولى فكانت في ربيع الأول من عام ١٢٠٠ هجرية-يناير عام ١٧٨٦م وكان سببها أن محافظ القاهرة آنذاك وهو أحد المماليك بعث بجنوده لنهب دار رجل من الشعب اسمه أحمد سالم الجزار نائب طريقة الشيخ البيومي الصوفي بالحسينية فثارت ثائرة أهالي الحي وتوجهوا إلى الشيخ الدردير الذي أعلن أنه سيخرج مع الجماهير من كل أنحاء القاهرة لينهب بيوت المماليك كما نهبوا بيوت الشعب، وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذانا بالاستعداد، وأصبحت القاهرة على أبواب ثورة شعبية وأصبح المماليك يحيط بهم الرعب وبلغ ذلك إبراهيم بك والي

مصر فأرسل نائبه في الحكم، ومعه أحد الأمراء من المماليك إلى الإمام الدردير يعتذر له عما حدث ويعده برد كل ما نهب إلى صاحبه، وقبل الشيخ الدردير ذلك وتم كل ما أراده وهكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية فحواها «وجوب احترام الحاكم لإدارة المحكومين.

وأما الثورة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بتسع سنوات في شهر ذي الحجة عام ١٢٠٩ هجرية ١٧٩٥ ميلادية وكان بطلها هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر الشريف وسببها أن الفلاحين في قرية من قرى بلبيس ذهبوا إلى الشيخ الشرقاوي في الجامع الأزهر وشكوا له من ظلم محمد بك الألفي ورجاله لهم، ومن فرضهم على القرية أموالا لا طاقة لها بها.

وتأثر الشيخ الشرقاوي بما بلغه وبلغ الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك، ولكنهما لم يفعلا شيئا، فعقد مؤتمرًا وطنيًا في الأزهر حضره العلماء والطلاب والشعب، حيث استقر الرأي على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يخضعوا لمطالب الشعب، وعندئذ أمر الإمام الشرقاوي بإغلاق أبواب الجامع الأزهر، كما أمر الشعب بإعلان الإضراب العام، وإغلاق الأسواق والمحلات، وفي اليوم التالي ركب الشيخ الشرقاوي ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير، وسار الموكب إلى منزل الشيخ السادات وهو من كبار العلماء وكان منزله قريبا من قصر إبراهيم بك فأفزعه مواكب الشعب الثائرة فبادر بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسأل العلماء عن مطالبهم وحاول التنصل من إجابة مطلب الشعب ولكن العلماء أصروا على موقفهم وتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وبدأت ثورة وطنية عاصفة.

هال إبراهيم بك ما بلغه وأرسل إلى العلماء يعتذر وفي اليوم التالي توجه والي مصر العثماني إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء المماليك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجتمعوا بهم فحضر الإمام الشرقاوي والسيد عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ البكري والشيخ الأمير وانتهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التي قدموها وتتلخص في عدم فرض أية ضريبة إلا إذا

أقرها مندوبو الشعب.

نزول الحكام على مقتضى أحكام المحاكم ولا تمتد يد أي سلطان إلى أي فرد إلا بالحق وتم تحرير وثيقة تتضمن هذه القرارات.

ويجمع أكثر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان حقوق الإنسان سبقت بها مصر غيرها من الشعوب وذلك قبل إعلان الثورة الفرنسية لميثاق حقوق الإنسان.

دور مشايخ الأزهر في تعيين الأمراء على البلاد بعد خروج المستعمر.

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت الوطن أياد قوية؛ كل يد تعمل على الاستئثار بحكم مصر، وكان من هؤلاء الطامعين في العرش طامح من رعايا خلافة تركيا هو محمد علي القوللي رئيس إحدى الفرق العسكرية التي أرسلتها تركيا إلى مصر لطرد الفرنسيين منها.

وتودد محمد علي إلى شعب مصر وإلى علماء الأزهر الشريف، ودس أعوانه في وسط الشعب لينادي به حاكما على مصر، واستجاب علماء الأزهر لرغبة الشعب، ورأوا في تولية مثل محمد على حكم مصر دفعا لأخطار الحكام الأتراك المتغطرسين، فتوجهوا وعلى رأسهم شيخ الإسلام الشيخ عبد اللّه الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد المهدي المفتي، والشيخ محمد الأمير من كبار العلماء، والشيخ سليمان الفيومي، والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف، والسيد محمد السادات شيخ مشايخ الطرق الصوفية، والشيخ العريشي القاضي، وغيرهم من الشيوخ والعلماء، إلى قصر محمد علي وأفضوا إليه برغبتهم في المناداة به واليا على مصر لإجماع الشعب على ذلك، وخرج العلماء من عنده إلى الجامع الأزهر لرسم الخطة ومتابعة الحوادث غير أن الانتظار لم يطل، فما كاد يعلن نبأ تولية «محمد علي» ولاية «جدة» واستعداده للرحيل، حتى خرج أهل القاهرة عن حد الاحتمال فالتفوا حول شيوخ الأزهر، وطالبوا بوضع حد لسوء الحال، وانتهوا إلى المطالبة بعزل الوالي، والمناداة بمحمد علي واليا على مصر وكان عدد المحتشدين من الشعب في الأزهر يربو

على الأربعين ألفا، ولم يجد العلماء إزاء هذا الموقف بدا من تحقيق رغبة الشعب، فاتجهوا إلى دار المحكمة في بيت القاضي، وحولهم هذا البحر الزاخر من الشعب الهائج يهتف بسقوط الوالي، وفي المحكمة حضر الجميع واتفقوا على كتابة عريضة بمطالب الشعب عددوا فيها المظالم التي وقعت بالناس من مصادرة الحريات وفرض الضرائب، وطالبوا برفع هذه المظالم، وكان ذلك في يوم الأحد ١٢ من صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٢ مايو سنة ١٨٠٥ م) وقرروا عزل خورشيد باشا وتنصيب محمد علي واليا على مصر.

وقوف مشايخ الأزهر مع ثورة القاهرة ضد بريطانيا.

بعد ضرب الإسكندرية في ١١ يولية عام ١٨٨٢ هب عرابي باشا للدفاع عن البلاد، فأصدر الخديو أمرًا بعزله في ١٠ يولية، وبناء علي ذلك اجتمع المؤتمر الوطني للمرة الثانية في ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقرر موقف الأمة من الخديوي ،أصدر العلماء فتوى شرعية بمروق الخديوي عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، فأصدر المؤتمر الوطني قراره التاريخي بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابي بالدفاع عن البلاد، وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك الشيخ محمد الإنبابي شيخ الجامع الأزهر، الشيخ حسن العدوي، الشيخ عبد اللّه الدرسناوي مفتي الحنفية، الشيخ محمد عليش مفتي المالكية، الشيخ يوسف الحنبلي مفتي الحنابلة، مفتي الأوقاف؛ الشيخ عبد الهادي الإبياري، الشيخ محمد الأشموني الشيخ خليل العزازي، الشيخ مسعود النابلسي، الشيخ محمد القلماوي، الشيخ زين المرصفي، الشيخ حسين المرصفي، الشيخ سليم عمر القلعاوي، الشيخ عثمان مدوخ، الشيخ عبد الرحمن السويسي، ومن رجال القضاء الشرعي الشيخ أبو العلا الخلفاوي الشيخ عبد القادر الرافعي، الشيخ عبد القادر الدليشاني، الشيخ أحمد الخشاب[١].

(١) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام ١/ ١٨٦.

وقد بذل العلماء جهودا كبيرة، في سبيل الدفاع القومي، فدعوا إلى التطوع في صفوف الجيش المصري وإمداده بالمؤن والتبرعات وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده، والشيخ حسن العدوي، والسيد عبد اللّه النديم الذي كان لسان الثورة الناطق والذي كان يستدعى للخطابة بالبرق، حتى لقب بخطيب الثورة، بل (خطيب الشرق)[١].

الثورة المصرية الثالثة ضد الاستعمار البريطاني:

قامت الثورة عام ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وفي مشيخة الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم، ثم خلفه الشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ عبد الرحمن تاج، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ حسن مأمون، وغُيِّر لقب شيخ الأزهر فصار هذا اللقب هو «الإمام الأكبر»، وكان الأزهر يقوي من دعائم الثورة، ويدعم العهد الجديد، الذي ثار على الفساد فحطمه، وعلى الطغيان فهدمه، ولا يزال الأزهر يبارك مبادئ الثورة، ويدعو للإيمان بها[٢].

(١) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام ١/ ١٨٨.

(٢) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام ١/ .

المحور الثالث نماذج من الفتاوى المعاصرة لعلماء الأزهر، وأثرها الاجتماعي.

تخرج في الأزهر في العصر الحديث فريق كبير من عظماء الرجال، فمن الزعماء زعيم مصر المغفور له سعد زغلول، ومن الأدباء المرحوم علي باشا مبارك وعبد الله فكري باشا، والسيد رفاعة الطهطاوي، وحفني ناصف بك، والشيخ حمزة فتح الله، ومن المصلحين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده.

وتخرج فيه كثيرون من أمراء الشرق ومجاهديه، فمنهم السيد الإدريسي الذي درس في الأزهر ثم عاد إلى اليمن يعلم البدو أمور دينهم ويحارب الأتراك في سبيل استقلال بلاده حتى تقلص الحكم التركي عن بلاد العرب في ختام الحرب العظمى، وما زال سلطانا مستقلا واسع النفوذ حتى لقي حتفه في سنة ١٣٤٠ هـ.

ومنهم السيد صديق حسن خان أمير يهوبال السابق وقد تخرج في الأزهر، وكان منتسبا لرواق البخارية ثم عاد إلى إمارته فأصلح شؤونها وأقام فيها مجالس العلم حتى توفي في سنة ١٣٢٩ بعد أن رفع شأن بلاده ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله منلا الصومالي الذي درس في الأزهر ثم رحل إلى الصومال فأخذ يعلم الناس أمور دينهم ويدعوهم إلى طرح الاستعباد حتى استطاع أن يؤلف بين قلوب القبائل الصومالية ويحارب الإنجليز والإيطاليين والبلجيك والبرتغاليين ويستعمل الحيلة والدهاء في حروبه، فحطم جهود الاستعماريين وطرد جيوشهم وما زال في كفاح معهم حتى لقى ربه في سنة ١٣٢٣ هجرية[١].

الشيخ الشربيني.

تولى الشيخ الشربيني مشيخة الأزهر في وقت اشتد فيه الصراع بين الاستعمار البريطاني الذي كان يمثله اللورد كرومر، وبين الوطنية الأصيلة المستمدة من الدين والأخلاق، وكان الأزهر في

(١) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام.

تلك الأثناء هو القلعة الحصينة العنيدة بجنود الوطن والإيمان والكفاح، وكان الاستعمار الغاشم لا يهاب شيئًا أكثر من سلطان العلماء؛ لأن قوة الشعب حينذاك كانت مستمدة من عزتهم وصدقهم، وكان اللورد يرى على حد فهمه أن تفاهمه مع الشيخ الشربيني لمما يخفف حدة الصراع الرهيب، فأراد أن يقابل شيخ الأزهر في منزله.

وفي الوقت الذي حدده الإمام حضر اللورد ومعه زوجته، وحرص (الأستاذ الأكبر) على عدم القيام له إذا دخل عليه؛ لأنه لا يليق بشيخ الإسلام أن يقوم لكافر ظالم، فأمر خدمه أن يدخلوهما في حجرة الانتظار في الدور الأرضي من المنزل، وبعد برهة، نزل إليه الشيخ فقام هو وزوجته وكان ذلك هو المطلوب فسلم عليه ولم يسلم على زوجته!!

وأخذ كرومر يتودد إلى الشيخ، يتزلف إليه ويتملقه، والإمام لا يعيره التفاتًا أو اهتمامًا بما يقول، بل إنه أعطى ظهره لزوجة اللورد لكي لا يراها فاعتبر اللورد أن ذلك إهانة له، ولزوجته على وجه الخصوص، ولكنه لم يستطع أن ينصرف، ثم طلب من الشيخ أن يأذن لزوجته كي تصعد إلى الطابق العلوي من المنزل لزيارة حرم الإمام ولتجلس معها حتى تنتهي المقابلة! ولكن الشيخ أبى، وأجابه على الفور في عنف، فقال أنا آسف، إنها تحرم على نسائنا المسلمات، كحرمة الرجل الأجنبي سواءً بسواء لاختلاطها بالرجال !!

وهنا لم يستطع اللورد إلا أن يسرع في الانصراف مدحورًا، ثم أبلغ حكومته خطورة بقاء الإمام في منصبه كشيخ للأزهر، ولم يلبث قليلًا حتى ترك منصبه غير آسف، وفضل أن يفوز برضا الله ورسوله وبلاده، على أن يفوز برضى عميد الاستعمار وحكومته، ولو كان من وراء ذلك ملك الدنيا[1].

(١) انظر: محمد عبد الهادي المصري هكذا كان علماء الأزهر ص: ١.

الشيخ حسونة النواوي.

في عام ١٨٩٩ أرادت حكومة مصطفى فهمي باشا استجابة لأمر الإنجليز أن تضعف القضاء الشرعي فوضعت مشروعا لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلي إلى المحكمة الشرعية العليا، ولم تبال الحكومة المصرية باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع فعرضته على مجلس الشورى، وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوي الذي جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية، فثار على المشروع وانسحب من المجلس وتبعه القاضي التركي، فخذل المجلس الحكومة وفشل المشروع.

رفاعة الطهطاوي.

أحد زعماء النهضة العربية الحديثة، فعلى يديه تكونت نواة الطبقة المثقفة المصرية الصحيحة التي حملت لواء التجديد، استطاع أن يجمع بين حضارة الغرب المتقدمة ومفاخر حضارة العرب القديمة، ولذلك عنى بإحياء التراث القديم مثلما عنى بترجمة مآثر الغرب تحقيقا للنهضة الفكرية ودفعا لحركة البعث الجديد كما كان مترجما مبدعا، وكاتبًا موسوعيا ومؤرخا أثريًا، خاصة وأنه من الذين عرفوا تاريخ مصر القديم واعتنوا بأمجاد هذا التاريخ.

«إذا أراد الأزهر أن يرسل بعوثا إلى أوربا كان رفاعة الطهطاوي إمام بعثات القرن التاسع عشر، ولم تمض سنتان على عمله الذي اختطه لنفسه حتى كتب وترجم ونقل من الشمال إلى اليمين، ما كان قد نقل من اليمين إلى الشمال، فكان فيما كتب ونقل موفقا كل التوفيق ومسددا كل السداد.

رجع رفاعة إلى مصر فأكب وتلاميذه «تلاميذ مدرسة الألسن» على الترجمة والتأليف في السياسة والاجتماع والأدب والجغرافيا والتاريخ، وهو في كل أولئك لم ينس منبته ولا نشأته ولا أزهريته، فإذا كتب في تاريخ فرنسا، كتب إلى جانبه في تاريخ العرب وفي تاريخ مصر، وكأنه يقول «لكم تاريخكم ولنا تاريخنا، ولكم تراثكم ولنا تراثنا، وإذا أخذنا فلِكَي نزيد شخصيتنا لا لنقلل منها» وإذا كتب في الجغرافية نوَّه بذكر معجم ياقوت الحموي، وإذا تحدث عن المرأة قال إن

الإسلام لم يظلمها وإنما ظلمها أهلوها، وضرب رفاعة بهذا الاتجاه الجديد المثل الأعلى لمن يريد أن يوفق بين ماضيه وحاضره، واتخذ لمقياس التقدم وحدة الزمن الثلاثة التي تبتدئ بالماضي، وتتطلع إلى المستقبل، وتتخذ من الحاضر وصلة ما بينهم[1].

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.

عيّن وزيرًا للأوقاف في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ/ يناير ١٩٨٢، وظلَّ به شهورًا قليلة، اختير بعدها شيخًا للجامع الأزهر في ١٣ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ/ ١٧ مارس ١٩٨٢ وفي سبتمبر عام ١٩٨٨ تمَّ اختياره رئيسًا للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.

شهد الأزهر الشريف في عهده نهضة كبيرة، فقد انتشرت المعاهد الأزهرية في كل قرى ومدن مصر، كما لم تنتشر من قبل، فقد بلغ عدد المعاهد الأزهرية في عهده أكثر من ستة آلاف معهد ولم يقف جهده على نشر المعاهد الأزهرية في مصر، بل حرص على انتشارها في شتى بقاع العالم الإسلامي، فأنشأ معاهد أزهرية تخضع لإشراف الأزهر في تنزانيا وكينيا والصومال وجنوب إفريقيا وتشاد ونيجيريا والمالديف وجزر القمر وغيرها من البلدان الإسلامية كما فتح باب الأزهر واسعًا أمام الطلاب الوافدين من الوطن الإسلامي وخارجه، وزاد من المنح الدراسية لهم حتى يعودوا لأوطانهم دعاة للإسلام ونجح في فتح فروع لجامعة الأزهر في جميع أنحاء مصر وعقدت الجامعة في عهده لأول مرة مؤتمرات دولية في قضايا طبية وزراعية وثقافية مهمة تحدد رأي الأزهر والإسلام فيها وكان آخر قراراته لنهضة الأزهر وإبراز دوره في نشر رسالة الإسلام هو إقامة مدرسة مسائية للرجال والنساء على شكل مركز مفتوح للدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف؛ لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة، ولتوضيح حقائق الدين السمحة البعيدة عن التعصب والجهل والداعية للحب والسلام، ويتم فيها تدريس جميع فروع العلوم الإسلامية.

---

(١) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام ٢/ ٢٦٨.

هذا الشـــيخ الجليل لم تكن له أي تطلعات دنيوية فقد عاش ومات في شـــقته البســـيطة في حي المنيل وكان يتحامل على نفسه صعودا إلى الطابق الخامس على السلالم المتهالكة للعمارة التي لا يوجد بها مصـــعد وهو الذي قارب الثمانين من عمره وعندما عرضـــت عليه الحكومة الانتقال إلى مسكن أوسع وأرحب رفض ، كما لم يقبل الشيخ جاد تقاضي أي أموال غير راتبه الأساسي بدون أي حوافز أو بدلات أو مكافآت كما لم يقبل الحصـــول على أي أموال تأتيه مقابل أبحاثه وكتبه القيمة فقد كان يحتســـبها لوجه الله تعالى وكان يعيش هو وأولاده حياة الكفاف لأجل هذه النماذج الفريدة كانوا يخافون من الأزهر الشريف.

فضيلة الإمام الشيخ الدكتور أحمد الطيب.

شيخنا وإمامنا فضيلة الأمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب المشهور له بالعطاء والعلم في كافة مناحي الحياة المصرية من أساسها إلى قمة هرمها لا يألو جهدًا في بيان الحق وحكم الشرع في القضايا التي تمر بها الأمة والتحديات التي تواجهها وحاجة الناس إلى معرفة الأحكام الشرعية وبيان حكم الله فيها بكل تجرد وأمانة ومصداقية.

جهود فضيلة الإمام الأكبر:

١ -تطوير مناهج الأزهر الشريف بما يُناسِب روح العصر، ويجمع بين أصالة النص، ومعاصرة تطبيقه في واقع الناس، من خلال إنشاء «اللجنة العليا لإصلاح التعليم»، و«لجنة إعداد وتطوير المناهج»، وهي لجنة تضم علماء مُتخصِّصين، وخبراء تربويين.

٢ - استعادة دور «هيئة كبار العلماء» الرائد في تجديد الخطاب الديني، والحفاظ على الثوابت الإسلامية في كثير من القضايا المُجتمعية والثقافية، من خلال أبحاث ومُؤلفات ومُلتقيات فكرية شبابية.

٣-إنشاء «مركز الأزهر العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية»؛ متابعةً لمستجدات الواقع المعاصر، وتجديد الرؤية الشرعية للعديد من القضايا الفقهية المستحدثة.

٤ -إنشاء «مركز الأزهر للتراث والتجديد»، وهو مركز مُتخصص يُعنَى ببحث مسائل وقضايا الفقه الإسلامي، ويجدد النظرة الشرعية لها؛ بما يحفظ أصالة النص، ويواكب مُستجدات الواقع المُعاصر؛ وفق شروط التجديد، ودواعيه، وضوابطه، وثبات بعضِ أحكام الشَّريعة، وتغَيُّر بعضها.

٥ - تطوير برامج «الرّواق الأزهري» في الجامع الأزهر وفروعه في محافظات الجمهورية؛ ليؤدي دوره التعليمي والدعوي للمصريين والأجانب من الناطقين بالعربية والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية؛ وفق منهج الأزهر الوسطي والمُستنير؛ ويجري العمل فيه من خلال عدة أروقة داخلية.

٦- رواق القرآن الكريم؛ لتحفيظ أبناء المسلمين القرآن الكريم من المصريين والوافدين، وفق برامج مناسبة لظروف وأحوال الدارسين، وعلى يد نخبة من معلمي الأزهر من حفظة القرآن الكريم الذين اجتازوا اختبارات لجنة مراجعة المصحف الشريف.

٧- رواق التجويد والقراءات؛ لتعليم أحكام التجويد، وأوجه القراءات الصحيحة والمتواترة عن سيدنا رسول الله ﷺ.

٨- رواق العلوم الشرعية ويمر الدارس بثلاثة مراحل دراسية (التمهيدية - المتوسطة - المتخصصة) وتُدرس العلوم العربية والشرعية وفق المنهج الأزهري الوسطي على يد علماء متخصصين.

٩- استحداث وحدة «فتاوى التنمية والاستثمار» التابعة لمركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية؛ لتقديم الفتاوى الاقتصادية المتخصصة لجمهور المستفتين حول الاقتصاد وفقه المال والأعمال بما يواكب مستجدات الواقع ويراعي مصالح الناس.

وفي إطار ممارسته لدوره المستمر في حماية الدين الإسلامي وأركانه من دعاوى الوهم والتجديف في الدين نظم الأزهر مؤتمر عالمي بعنوان "مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي وبمشاركة نخبة من كبار القيادات والشخصيات السياسية والدينية البارزة على مستوى العالم.

وناقش المؤتمر تحديات التجديد، على رأسها ما يشيعه البعض من تكفير الأمة واعتزالها في الخطاب الدعوي، وتقديس الجماعات الإرهابية للفرد، واستخدام الشعارات الدينية لتحقيق أغراضها، ومناقشة دموية الفكر الإرهابي، والمؤثرات السياسية والاقتصادية والأمنية والتكنولوجية على التجديد.

وتحدث فضيلة الإمام الأكبر، عن عملية التجديد في شريعة الله، أنها صناعة علمية بالغة الدقة

لا يحسنها إلا الراسخون في العلم، وقد طلب الأزهر في هذه المادة غير المؤهلين تجنب الخوض في هذا الموضوع؛ حتى لا يتحول التجديد إلى ما يشبه محاولة للتدمير والتبديد، مشيرا إلى أنه فيما يتعلق بمجال دعوات المتطرفين للشباب بترك أوطانهم التي ينعتونها بـــ المجتمعات الكافرة، ومطالبتهم بالهجرة منها للالتحاق بجماعتهم المسلحة، يقول الأزهر أن هذه الدعوة ضلال وجهل بالدين وبشريعته السمحة.

وأضاف أما النصوص القابلة للتجديد فتسمى النصوص الظنية الدلالة، ومثلنا لها بالنصوص الواردة في البيع وغيرها، ومن هذه النصوص الآيات الواردة في الأمر بالعدل والشورى والمساواة، فإنها قابلة للتطبيق عبر الاجتهاد على أي نظام من أنظمة الحكم، ما دام يحقق مقاصد هذه الآيات، ومنها النصوص التي تحقق للمسلمين حرية الحركة والتأقلم بالأنظمة الحديثة في مجال العلاقات الدولية.

وتابع ومنها أيضا مجال القوانين الجنائية في غير مجال الحدود الشرعية، وإن كان مجال الحدود الشرعية هذا قد وضع له من القواعد والاشتراطات الشرعية ما يجعل من إقامة "الحد" أمرا نادر الحدوث، مثل قوله صلى الله عليه وسلم "ادرؤوا الحدود بالشبهات"، فهذه القاعدة بمفردها تجعل من إثبات الحد أمرا بالغ الصعوبة، إذ كل جريمة من جرائم الحدود لا تكاد تخلو من شبهة من الشبهات تأخذ بيد القاضي إلى النزول من عقوبة الحد إلى عقوبة أخرى أقل منها وقُل مثل ذلك في مجالات الاقتصادِ ومجالات الأحوال المدنية، وكلِّ ما يُثمِرُه "قانونُ التطور" من اجتماعيَّاتٍ وآدابٍ وثقافاتٍ، ما دامت تَندرجُ بصورةٍ أو بأخرى تحتَ مقاصدِ الشريعةِ، والتي لا نَمَلُّ من القولِ بأنها مقاصدُ إنسانيَّةٌ وأخلاقيَّةٌ ومصلحيَّةٌ تقومُ على الإيمانِ بالله تعالى، وأشار الإمام الطيب إلى أن الدولة في الإسلام ليست ـــ كما يقول زورا وكذبا دولة دينية (كهنوتية) بالمفهوم الغربي، وكذلك ليست دولة مستبدة تجحد الدين، ،تحرم الناس مما يتضمنه من مصالح ومنافع وأمن وأمان، وتهنئة

غير المسلمين بأعيادهم وأفراحهم، ومواساتهم، وعزاؤهم في مصابهم من أخلاق البر الذي أمرنا الإسلام به تجاه إخوتنا من غير المسلمين، ويجبُ على السُّلطاتِ المختصَّةِ أن تَتعقَّبَهم وتُحاكِمَهُم وتَقتَصَّ منهم القصاصَ العادلَ، وتُخلِّصَ البلادَ والعبادَ من جَرائمِهم، مضيفا أنه ليس في تهنئة المسيحيين، أو اليهود ــ من غير الصهاينة ــ أو أي مسالم لنا على وجه الأرض أو تعزيتهم مخالفة للشريعة الإسلامية، وحجتنا فيما ذهبنا إليه قوله تعالى {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} هذه الآية الكريمة قاطعة في الردِّ على الذين يُحرِّمون مُصافحةَ المسيحيِّين؛ ذلك أنَّها -مع ما بعدها- تُقسِّمان غير المسلمين إلى من لا يحاربون المسلمين ولا يُخرجونهم من دِيارِهم، ولا يُضيقون عليهم ليَهجُروا بلادَهم وأوطانَهم، وهؤلاء لا حَرَجَ على المسلِمِ أن يَبَرَّهُم ويُقسِطَ إليهم، بل مطلوبٌ منه البِرُّ والقسط، والبرُّ المذكور في الآية هو "حسن المعاملة والإكرام"، والإقساط هو "العدل بأوسع معانيه"، وهو يَنطبقُ على التوازن في كُلِّ مواقفِ الإنسان مع غيرِه وتَصرُّفاته إزاءه ولفضيلته مقوله ورؤية يحفظها عن ظهر قلب كل من كان له قلب أو القى السمع وهو بصير "إن التيار الإصلاحي الوسطي هو "الجدير وحده بمهمة التجديد"، مشيرا إلى أنه يعني "التجديد الذي لا يشوه الدين ولا يلغيه، وإنما يأخذ من كنوزه، ويترك ما لا يتناسب من أحكامه الفقهية إلى الفترة التاريخية التي قيلت فيها".

وأوضح الشيخ أحمد الطيب ذلك بالقول أن تلك الأحكام "كانت تمثِّل تجديدا استدعاه تغير الظروف والأحوال يومذاك"، مضيفا "هذا ما نأمل أن يعكسه مؤتمر الأزهر العالمي حول (تجديد الفكر والعلوم الإسلامية) وأكد فضيلته أن "إهمال التراث بأكمله ليس تجديدا.

المحور الرابع تأثير الأزهر الشريف في الأقطار العربية والإسلامية.

بعد أن اقتحم التتار بغداد انتقلت الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة في عهد المماليك وعلى يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ، وأعاد للأزهر مكانته العلمية فأمّه الطلاب من كل صوب وحدب، من أواسط أفريقية إلى جنوب روسيا وفتح الأزهر أبوابه منذ إنشائه لكل مسلم، وقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها يتلقون العلم فيه، وتجرى عليهم الأرزاق، وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بهم، وهذا هو نظام الأروقة الذي بدأ ببداية الحلقات الفقهية في الأزهر ومن أعلام الفكر الأزهري في العهد الفاطمي المسبحي الكاتب والمؤرخ المشهور، وقد أخذ بقسط كبير من ثقافات عصره وعلومه، ومن كتبه أخبار مصر، وكتب أخرى مفقودة وقد نشأ وتعلم في الأزهر وأفاد من علمائه ومنهم كذلك أبو عبد اللّه القضاعي، الذي كان من أقطاب العلماء، وتولى منصب القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد المستنصر وأوفده الخليفة سفيرا إلى قيصرة القسطنطينية، للمفاوضة في عقد صلح بينهما وله كتاب مفقود في تاريخ مصر بعنوان «المختار في ذكر الخطط والآثار».

وبعد ثورة يوليو دخل التطوير في الأزهر بأوسع نطاق، فأعيدت عام ١٩٥٧ أقسام الدراسات العليا إلى الأزهر، وأسهم الأزهر في مختلف وجوه النشاط في العالم الإسلامي، وزيدت بعثاته العلمية إلى الدول العربية والإسلامية، واستقبل ألوف الشباب من أبناء العالم العربي والإسلامي ليتثقفوا في معاهده وكلياته على خيرة الأساتذة؛ وليعودوا إلى بلادهم أئمة ومرشدين في شتى علوم الدين والعربية وذهب الشيخ تاج شيخ الأزهر في رحلة إلى باكستان والهند وأندونيسيا، ثم ذهب من بعده الشيخ شلتوت في رحلة إلى الفليبين والملايو وفي عهده أنشئت إدارة للبحوث والثقافة الإسلامية[١].

(١) انظر: الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام ١/ ٢١١.

ولم يقتصر دور الأزهر في تدريس علوم الشريعة لطلابه بل شمل جميع العلوم الإسلامية والطبيعية والعقلية، والعلوم الرياضية والهندسة والطب، فقد كانت هذه العلوم تدرس في الأزهر الشريف منذ العصر الفاطمي، ففي وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر عام ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٤ م أن من العلوم التي كانت تدرس في الأزهر آنذاك التصوف والفلسفة والهندسة والموسيقى والمنطق والحساب والجبر والفلك والهيئة، وقد أصدر الشيخ الإنبابي فتوى بجواز تعلم العلوم الرياضية وعلم الطب وغيرهما.

ومن الفلاسفة والأطباء الأزهريين أبو الحسن علي بن رضوان، وشرف الدين عبد الله بن علي، ، والقطب المصري الرشيد بن الزبير، وكان شيخا للأطباء في مصر وتوفي عام٥٦١ هجرية .

وكان عبد اللطيف البغدادي يدرس في الأزهر الطب لطلابه وجاء في إجازة الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري (شيخ الأزهر من عام ١٧٦٨ ١٧٧٦ م، والذي توفي عام ١١٩٢ هـ١٧٧٨م، أنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية، وله مؤلفات في كثير منها، وهي الحساب، والميقات، والجبر والمقابلة، وأسباب الأمراض وعلاماتها، وعلم الاسطرلاب، وعلم الزيج، والهندسة، والهيئة، وعلم المزاول، وعلم الأعمال الرصدية، وعلم الحيوان والنبات والمعادن علم استنباط المياه، وعلم التشريح، وعلاج لسع العقرب، وغيرها من العلوم، وقد كان الشيخ حسن الجبرتي، وهو والد الجبرتي المؤرخ، ذا شهرة كبيرة في العلوم الرياضية، وقد ذكر ابنه المؤرخ أنه في عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م أتى إليه طلاب من الفرنجة وتلقوا عليه علم الهندسة، وقد تلقى الشيخ حسن الجبرتي هذه العلوم الرياضية في الأزهر على الشيخ محمد النجاحي، ثم على الشيخ حسام الدين الهندي الذي كان قدم إلى الأزهر للتعلم، وكان بارعا في العلوم الرياضية والفلسفية، فتلقاها عنه طلاب الأزهر.

المحور الخامس: مرجعية الأزهر الفقهية على مر العصور.

انبرى علماء الأزهر الشريف لتبيان حكم الشريعة في النازلة، وبيان أدلته من نصوص الشريعة، وأطمأن المجتمع لعدل الشريعة في حكمها، واستبانت قدرتها على احتواء النوازل والقضايا المعاصرة في أي وقت ومكان وزمان ولا نستطيع حصر الفتاوى التي صدرت من الأزهر الشريف على مر العصور وفي وقتنا الراهن فهذا من المستحيلات ولكن يمكن أن نأخذ نماذج من تلك الفتاوى التي صدرت من هذا الصرح العظيم حول قضايا فقهية أثارت جدلًا واسعًا في الشارع المصري والعربي ـ فقضية ربا البنوك التي أفتى فيها الأزهر بالإجماع على ربويته وتحريمه بنصوص الكتاب والسنة، وممن أفتى بذلك فضيلة الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد أبو زهره والإمام جاد الحق، والشيخ محمد متولي الشعراوي وفضيلة الشيخ عطية صقر وغيرهم من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بحرمة ربا النقود الورقية كحرمة الربا في النقود الذهبية والفضية والفلوس[١].

وهناك المسائل الفقهية الخاصة بالمرأة والنوازل التي تحتاج إلى حكمها في الفقه الإسلامي فقد استوفى الأزهر بيان الأحكام الفقهية التي تخصها من الختان واستعمال حبوب منع الحمل وحكم مشاركة المرأة في القضاء والانتخابات وغيرها من المسائل في شتى مناحي الحياة وميادينها.

(١) انظر: فتاوى علماء الأزهر حول ربا البنوك، تقديم جماعة من العلماء سلسلة فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف (٤).

الخاتمة

الأزهر مؤسسة وإرث ضخم لا يستطيع أي فرد أو مؤسسة أن تعطيه حقه.

مرور أكثر من عشرة قرون وهو في خدمة الدين والأمة الإسلامية أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز.

ما مر عليه من أحداث وعلماء وطلاب علم شهادة له على قدرته في أن يكون مركزًا علميًا ومرجعية دينية لكافة دول العالم الإسلامي.

التوصيات

- ❖ الاهتمام بالأزهر من جميع الجوانب الشكلية والجوهرية.
- ❖ استقلال الأزهر كمؤسسة بحثية لا تخضع لأي جهة رسمية.
- ❖ انتقاء الأزهر لطلبة العلم الأذكياء والنبهاء والأمناء حتى يثق الناس بمخرجات هذه المؤسسة.
- ❖ وفي الأخير أحب أن أوجه الشكر والتقدير والامتنان لإتاحة الفرصة لكي أدلوا بدلوي في هذا الحدث المبارك وأضع بصمة ولو صغيرة في صفحة هذا الصرح المبارك الجامع الأزهر الذي لا أستطيع أن أوفيه حقه التاريخي وبينا دوره الفعال في حياة الأمة الإسلامية والعربية والشعب المصري.

المصادر والمراجع

- المقريزي الخطط.
- السيوطي، حسن المحاضرة.
- محمد كمال السيد، الأزهر جامعًا وجامعة، القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- عنان محمد عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي.
- ابن خلكان وفيات الأعيان.
- ابن الصيرفي المصري.
- ابن خلدون تاريخ ابن خلدون.
- الخفاجي، د عبد المنعم، الأزهر في ألف عام.
- محمد عبد الهادي المصري هكذا كان علماء الأزهر.
- فتاوى علماء الأزهر حول ربا البنوك، تقديم جماعة من العلماء سلسلة فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ١٩٣٣
المقدمـــة ١٩٣٥
المحور الأول: نظرة تاريخية عن الأزهر الشريف. ١٩٣٨
العهد الأيوبي: ١٩٤١
عهد المماليك: ١٩٤١
الأزهر في عهد الدولة العثمانية: ١٩٤٢
المحور الثاني: نماذج من القضايا الفقهية التي أفتى فيها الأزهر بفتوى الفصل. ١٩٤٢
دور مشايخ الأزهر في تعيين الأمراء على البلاد بعد خروج المستعمر. ١٩٤٤
وقوف مشايخ الأزهر مع ثورة القاهرة ضد بريطانيا. ١٩٤٥
الثورة المصرية الثالثة ضد الاستعمار البريطاني: ١٩٤٦
المحور الثالث نماذج من الفتاوى المعاصرة لعلماء الأزهر، وأثرها الاجتماعي..... ١٩٤٧
الشيخ الشربيني. ١٩٤٧
الشيخ حسونة النواوي..... ١٩٤٩
رفاعة الطهطاوي. ١٩٤٩
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق. ١٩٥٠
فضيلة الإمام الشيخ الدكتور أحمد الطيب..... ١٩٥٢
المحور الرابع تأثير الأزهر الشريف في الأقطار العربية والإسلامية. ١٩٥٦
المحور الخامس: مرجعية الأزهر الفقهية على مر العصور. ١٩٥٨

الخاتمة.....١٩٥٩
المصادر والمراجع ١٩٦٠
فهرس موضوعات البحث ١٩٦١